مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٨١/٩/١٨

بقلم : ابراهيم نافع

هل ننظر الى الداخل أم لأقوالهم فى الخارج ؟

اتخاذ القرار على القمة مسئولية تعكس عادة النسيج المتميز لصانع القرار . وتجربة الشعب مع قرارات السادات تجربة جادة ومثيرة ، خاصة فيما يتعلق بمستقبل ومصير « مصر » . المسألة فى الحقيقة ليست « مزاجا شخصيا » متقلبا من يوم لاخر .. ومن حالة لاخرى ، كما تحاول بعض دوائر الصحافة العربية والاجنبية أن تصور الرئيس فتصوره مرة على أنه « عصبى » ، ومرة على انه « مندفع » ، ومرة على انه « حاد الطبع » ومرات على انه لا يتحمل النقد ... وكأن مسئولية وطن ومصير أمة يمكن أن يخضع لمثل هذه المعايير الشخصية .

■■ **القرار السياسى** على مستوى القمة لابد أن يكون **تعبيرا عن « معلومات » دقيقة ، وليس مجرد انطباعات شخصية** . وقد تتوفر معظم هذه « المعلومات » وقت اعلان القرار الكبير . وقد لا يتوفر جزء منها او لا يكون من السهل عرضها والكشف عنها اذا تعلقت بقرار استراتيجى . ومع ذلك فان الرئيس السادات هذه المرة خرج شارحا لكل الظروف والملابسات التى كونت أبعاد قضية الفتنة الطائفية ، كما خرجت الاجهزة المختلفة « **بالصوت والصورة** » تفضح المتآمرين على ضرب استقرار وأمن مصر ، وأذنابهم الذين سيكتب عليهم المذلة والعار .

■■ **ان نظرة متانية لحصاد الصحافة العربية والاجنبية حتى أمس تجاه القرارات المصيرية الاخيرة التى أعلنها الرئيس السادات توضح حالة التخبط التى تردت اليها بعض هذه الصحف ،والناتجة عن عدم التمييز بين مسئولية صانع القرار بما لديه من « معلومات » وبين من يكتب « مستنتجا » مما يؤدى الى سوء الفهم عن سوء نية أو سوء قصد ...** بحيث نجد الأوهام تبنى وكأنها الحقائق ، وبحيث نجد الرأى والرأى المضاد له تماما كلاهما يحاول تفسير ما جرى فى مصر بصورة لا تجعلنا فى حاجة الى مزيد من الرد ، وربما نكون فقط فى حاجة الى التعجب والدهشة .

■■ **ولننظر ــ مثلا ــ الى حكاية « الشارع المصرى » التى ظهرت تكرارا فى بعض الصحف العربية بالذات .**

□ تقول جريدة « **الثورة العراقية** » .. وخلافا لكل الحملات السابقة فان الشارع المصرى لم يتوقف عن التحرك فى أعقاب الاعتقالات الحالية ، رغم اتساعها وشراستها بل فى تحد لكل مظاهر الارهاب استمرت المظاهرات فى الشوارع والتجمعات فى المساجد والاماكن الاخرى » !!.

□ **وتمعن صحيفة الانباء الكويتية** فى «التخيل» والاغراق فى الوهم فتضيف رواية أخرى عن عدد من « الحقائق »

على حد تعبيرها :

« حقيقة اطلاق الرصاص على المواطنين وقتل وجرح اعداد كبيرة منهم . وحقيقة ان احدى المظاهرات سارت بالقوة مسافة ٥ كيلومترات ، وحقيقة تعاطف عدد من ضباط البوليس المصريين مع المظاهرات » ! !

أليست هذه كلها أوهاما تتمناها وتتمنى حدوثها جبهات الرفض المحيطة بنا .. وكل من يسير فى « الشارع المصرى» يدرك ذلك جيدا .

■■ ولننظر ـ مثلا ـ الى الحديث عن حقيقة وحجم المعارضة فى مصر .

□ تقول صحيفة « التايمز البريطانية » :

« وحتى قبل أن يقف الزعيم البالغ من العمر ٦٣ عاما ليوجه خطابه الى البرلمان المصرى كان معظم المراقبين الاجانب مقتنعين بأن السادات عمل خلال الاشهر القليلة الماضية بصورة متكررة وغير ضرورية على المبالغة فى تصوير حجم القوة التى يتمتع بها معارضوه » .

□ وتقول صحيفة السفير اللبنانية الليبية :

« ان السادات قد أكد ـ بلسانه وباجراءاته القمعية ـ ان حجم المعارضة لشخصه ولنظامه ولسياساته أوسع بكثير مما يتصوره غلاة المتفائلين بحدوث تغيير قريب فى مصر »!!

أيهما نصدق ؟ فهل عمد الرئيس السادات بالفعل الى التضخيم فى حجم المعارضة ، لكى يقوم بهذه الاجراءات بحجة تضخم حجم المعارضة ؟ !

ان خطورة « المناهضين » لم تكن راجعة الى ما يمثله حجمهم بالمرة وانما ترجع الى خطورة « الوتر الحساس » الذى اخذت تلعب عليه وبصفة خاصة « استغلال الدين » فى محاولة لضرب الوحدة الوطنية من جهة ، واستغلال معاناة الجماهير وهو موضوع آخر نبه اليه كثيرا الرئيس السادات من جهة اخرى .

من جديد ، نقول ارجعوا الى تحليل **نوعية مايمثله المتحفظ عليهم** .. حقا انهم يزيدون على

الالف وخمسمائة .. ولكنهم خليط غريب من المتطرفين وعدد قليل من الشخصيات السياسية المناهضة . الذين كان يخشى على الاجيال القادمة من « اسلوب غشهم السياسى » بالاضافة الى عدد من ذوى السوابق الخطرين على أمن وأمان هذا البلد .

□ **وتقول « الايكونومست »:**

لقد حاول السادات ان تبدو عملية « التطهير » شيئا محترما فوضعها فى اطار الفتنة الطائفية بين الاقباط والمسلمين . ورغم أنه كانت هناك احداث شغب طائفية فى مصر فى يونيو الماضى ، الا انه لم يكن هناك ما يستحق مثل هذه المعاملة .. ان السادات رغم كل شجاعته حتى الان يتصرف بأسلوب سوف يفقده أصدقاءه ويقلق حلفاءه ، ولن يتغير ذلك باستفتاء مثل الاستفتاء الزائف الذى اجرى فى مصر » ! !

■■ تعترف المجلة باحداث شغب طائفية فى يونيو الماضى .. ثم تتجاوز ذلك الى محاولة تشويه الاجراءات التى اتخذت فى مصر لمواجهة الفتنة الطائفية .. هذه الاجراءات لحماية الاجيال القادمة من الجماعات الاسلامية المتطرفة والحركات المسيحية المتعصبة .. أو بتعبير آخر انها تستهدف انهاء كل محاولات استخدام الدين فى السياسة والحرص على « نقاء الدين » والضرب على يد كل من يحاول تشويهه .. ومن هنا تبرز المغالطة ، عندما تزعم المجلة البريطانية أن احداث الشغب الطائفية فى مصر لا تستحق كل هذه الاجراءات .. الذى لم تقله المجلة ان خطورة مثل هذه الاحداث تنبع فى الواقع من محاولة استغلال ما يسمى بالمعارضة لمثل هذه الاحداث لزعزعة الاستقرار الداخلى فى مصر وانجاز اهدافها الاخرى .

وحقيقة لانعرف من هم اولئك «الاصدقاء» الذين تعنيهم المجلة والذين سيفقدهم السادات لمواجهة خطر يهدد مستقبل بلده وشعبه ، وأين هؤلاء الحلفاء الذين يقلقهم ذلك .. فهل المطلوب من السادات ان

يغمض عينيه عن خطر يهدد مصر من أجل اصدقاء أو حلفاء .. فوق ذلك كله وللمرة الاخيرة فان قرارات القيادة المصرية هى قرارات سيادية داخلية لاشأن لاحد بها وليس من حق أى قوة أن تتدخل فيها.. أما الاستفتاء الذى لم ينل رضاء المجلة ، فهو فى الحقيقة أول استفتاء لم يكتف المواطنون فيه بالادلاء بأصواتهم ، وانما خرجوا ايضا فى مسيرة تأييد للسياسات التى دعت اليه ..

■■ مرة اخرى تعود بعض الصحف الغربية الى تلك المقارنة الساذجة بين الرئيس السادات وشاه ايران الراحل ...

■ كريستوف ووكر يقول فى التايمز البريطانية :

« لقد ادت عملية التطهير الكاسحة للمتطرفين المسلمين والاقباط والسياسيين فى اليمين واليسار ورجال الاعلام ، والمحامين الى اثارة المقارنات بين النظام المصرى والمراحل الاخيرة فى نظام الشاه فى ايران » ..

■ والايكونومست تتساءل :

هل يسير الرئيس السادات فى نفس طريق شاه ايران ؟ ..

ولكنها للحق كانت أكثر احتراما لنفسها من التايمز ، فلم تشوه كل الحقائق ، وانما اعترفت « **بان مصر لاتزال فى الحقيقة مكانا مريحا هادئا اذا قورنت بايران قبل الثورة** » ..

■ وكان الاجدر « **بكريستوف ووكر** » ان يقرأ ايضا ما كتبه **بيتر جيلمان** فى « **الصندای تايمز** » عندما قال :

« ان هذا النوع من الصراع دعا بعض المراقبين الغربيين الى عقد المقارنات بين مصر السادات وايران الشاه . لكن هذا التحليل خاطىء ومضلل . فلاتوجد اية مؤشرات فى مصر تدل على وجود ثورة شعبية ، ورغم هذه التوترات الدينية ، فليس هناك ما يمكن مقارنته بقوة رجال الدين فى ايران ».

والواضح من سذاجة المقارنة هو عدم ادراكهم لابعاد السياسة الاجتماعية فى مصر من جهة ، وعدم فهم ان الرئيس السادات يسعى الى حماية المنطقة نفسها وليس حماية مصالح الغرب

« وهو فارق جوهرى بين مصر وايران فى عهد الشاه » ، **كما انه ليس هناك المام بالمعلومات الاساسية حتى عن الجماعات الاسلامية فى مصر ، ومن ثم الوقوع فى خطأ المقارنة بين تطرفها وبين جماعات الخمينى!**

.. وأخيرا ، لقد اخترت بالفعل اصعب وأدق ما نشر فى الصحف الغربية والصحف العربية — بعيدا بطبيعة الحال — عن الاسفاف الذى نترفع فى الرد عليه . ذلك فى محاولة لتوضيح نقاط اساسية لايجب أن تمر دون مواجهة حقيقية .. والواقع اننى كنت قد اخترت الكتابة عن الداخل وما نريده وما نتمناه .. ولكن ذلك موضوع آخر !

ابراهيم نافع